جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في إحياء اللغة العربية و الثقافة الإسلامية ١٩٣١م - ١٩٥٦م

د. بشير فايد

ملخص:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في الخامس من شهر ماي عام ١٩٣١م بالجزائر العاصمة،من قبل نخبة من العلماء الذين ينتمون فكريا إلى مدرسة الإصلاح الإسلامية، بغرض إحياء اللغة العربية، التي كادت أن تندثر في البلاد، ونشر الإسلام الصحيح، و محاربة الشعوذة و البدع والخرافات، التي استفحلت و تعاظم أمرها على يد شيوخ الطرق الصوفية المنحرفين و الموالين للاستعمار، و بتشجيع و رعاية من السلطات الفرنسية.و لإعادة الجزائر إلى محيطها الطبيعي، العربي و الإسلامي، بعد أن حاول المحتل لأكثر من قرن من الزمن، إلحاقها بدائرته المسيحية الغربية.

و لتحقيق كل ذلك، ركزت الجمعية بشكل خاص على تربية النشء تربية إسلامية صحيحة في الأسرة و المدارس و المساجد والنوادي. و في هذا البحث، سنتطرق إلى فلسفة التربية و التعليم عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و الانجازات التي حققتها في سبيل النهوض بالفرد الجزائري العربي المسلم، على مدار خمس و عشرين سنة من العمل و النشاط الدءوبين، اللذان دفعا بالبعض إلى تشبيهها بوزارة تربية وطنية، تعمل تحت احتلال،سعى بكافة الطرق و الوسائل، إلى نشر الجهل و الأمية، بين صفوف المجتمع الجزائري، حتى أصبح المتعلمون عملة نادرة، و إغراق الشباب في مستنقع الفساد الأخلاقي و الانحراف الفكري، إدراكا منه أنه بإفساد أخلاق و عقول هذه الشريحة المهمة في المجتمع، سيتمكن لا محالة من تحقيق مشروع الجزائر الفرنسية، الذي يعني بعبارة أخرى القضاء على هويتها العربية و الإسلامية.

و عليه فلا غرابة، أن تلقى الأخلاق التي تدهورت على نحو خطير، للعوامل السالفة الذكر،عناية خاصة من قبل أعلام الجمعية، الذين تركوا لنا تراثا تربويا غنيا لا زال صالحا لغاية الآن، استمدوه من القران الكريم و السنة النبوية الشريفة، و من تجارب الحركة الإصلاحية في العالم العربي و الإسلامي،و من رصيدهم التربوي الشخصي باعتبار أن عددا معتبرا منهم مارس مهنة التربية و التعليم قبل إنشاء الجمعية،و بطبيعة الحال دون التفريط في المناهج التربوية الحديثة.

مقدمة:

جاء إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، تتويجا لجهود إصلاحية حثيثة، سبقت هذا الحدث الهام، في تاريخ الجزائر المعاصر، هذا و يمكن حصر عوامل ظهور حركة الإصلاح الديني و التربوي الاجتماعي في الجزائر فيما يلي:

١- قيام حركة فكرية في مطلع القرن العشرين، قادها شلة من العلماء و المفكرين، أبرزهم:عبد الحليم ابن سماية(١)، و أبو القاسم محمد الحفناوي(٢)، و حمدان الونيسي(٣)، و مولود ابن الموهوب(٤).

٢- تأثير الأفكار الإصلاحية، القادمة من المشرق العربي:دعوة السيد جمال الدين الأفغاني، و الشيخ محمد عبده، و تلميذه الشيخ رشيد رضا، عن طريق الصحف التي كانت تصل إلى الجزائر مثل:العروة الوثقى، و المنار، و الفتح لمحب الدين الخطيب.و من خلال اللقاءات و المراسلات، التي تمت بين المصلحين الجزائريين، و أولئك الأساتذة و المفكرين.

٣- دروس الشيخ عبد الحميد ابن باديس(١٨٨٩م-١٩٤٠م)، التي بدأها سنة ١٩١٣م بالجامع الكبير، و سنة ١٩١٤م بالجامع الأخضر بمدينة قسنطينة عاصمة الإقليم الشرقي للبلاد.

٤- رجوع نخبة من الجزائريين- الذين تركوا البلاد طلبا للعلم و المعرفة- من الحجاز و الشام و مصر و تونس... و غيرها بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

٥- ظهور صحافة إصلاحية، تولت نشر المبادئ الإصلاحية، و انتقاد الأوضاع السائدة على المستويات الاجتماعية و الدينية و الثقافية و السياسية، مثل:المنتقد، الشهاب، الإصلاح، الفاروق، ذو الفقار، الإقدام، الجزائر، النجاح، صدى الصحراء، البرق...إلخ.

٦- حرمان سلطات الاحتلال الفرنسي الجزائريين، من تعلم لغتهم الوطنية المتمثلة في اللغة العربية، و دينهم الإسلامي، و من التواصل مع امتدادهم الحضاري العربي الإسلامي(٥).

كان المطلوب من رجال الفكر، و الإصلاح في الجزائر، القيام بما قد يفوق المعجزة لمعالجة الواقع المزري و المأساوي، الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري في كل الميادين، وضع يدفع أشد المتفائلين إلى اليأس و القنوط، لخصه و صوره الشهيد الأديب المصلح محمد الزاهي الميلي في قوله:((المجتمع الجزائري الذي لا نظير له في الشعوب الأخرى شرقية كانت أم غربية، شعب تكالب عليه أعداؤه فجردوه وسلبوه وسلخوه من العزة و الشهامة و النخوة و العمل المثمر الناجع.المجتمع الجزائري الماجد النبيل الذي أصبح ممزقا شر تمزيق بالاختلافات و الاضطرابات في الآراء و التفكير، الفوضى في الدين و الأخلاق، الذبذبة و الحيرة في السياسة.السياسة الغربية التي تحمل سما في الدسم بالنظريات الاستعمارية الجائرة في النظم الإقطاعية و النهم و الجشع و الدعاية المشاعية و الغاشية تلك الدعايات السالبة للروح الدينية، الماسخة للنفوس البريئة من الكرامة و الغيرة و التشبث بأهداب القومية))(٦).

و بقدر فداحة الوضع ومأساويته، كان الرهان و التحدي، فجاءت النتائج مدهشة، أدهشت الاحتلال نفسه، الذي راهن على فشل التجربة و وأدها في المهد؛ باختلاق العراقيل و العقبات، أو باحتواء الجمعية من خلال اختراقها بأشباه العلماء الموالين له أعداء الإصلاح و المصلحين، المستفيدين من الاحتلال الذي اعتبره بعضهم رحمة أنعم بها الرحمان جل و علا على الأمة الجزائرية، أو بالقمع و الاضطهاد و حتى بالتصفية الجسدية للمعلمين.

أولا- واقع التربية و التعليم قبل الاحتلال:

قبل الاحتلال، كانت الجزائر تشهد انبعاثا مستمرا للثقافة العربية و الإسلامية، تتولى رسالتها المدارس و الزوايا و المساجد و الكتاتيب القرآنية.و من مظاهر هذا الانتعاش الثقافي: انتشار المؤسسات التعليمية في الأرياف و المدن على حد سواء، و انخفاض نسبة الأمية بشكل ملفت للنظر، بالمقارنة مع الدول الأوروبية نفسها و على رأسها فرنسا(٧).

فقد تميز التعليم في الجزائر حينئذ ، بالانتشار الواسع و النظام المحكم ، لاسيما في الحواضر العلمية كقسنطينة و بجاية و الجزائر و تلمسان ، بفضل نخبة من المعلمين و الأساتذة ، الذين كانوا يسهرون على ترقية التعليم و تطويره و نشره بين مختلف الأوساط الشعبية. و لعل ما يؤكد ذلك، ظهور مثقفين بارزين من الطراز العالي قبل و عشية الاحتلال الفرنسي، أمثال: إبن حمادوش الجزائري(٨)، و إبن العنابي(٩)، و حمدان خوجة(١٠)، و غيرهم الذين تركوا مؤلفات راقية في مختلف العلوم و الفنون و الآداب.

غير أن انتشار العلم و المعرفة في الجزائر ، لم يصل إلى المستوى الإنتاج المادي ، مثلما أصبح عليه الوضع في أوروبا في ذلك العصر ، و إنما كانت الثقافة الجزائرية ثقافة أدبية و روحية و فكرية ، لم تصل إلى المستوى المطلوب لتوظيفها في الحياة المادية كالصناعة و التجارة وغيرها من الأساليب التقنية، التي أصبحت تبحث في مجاهل الكون و أسرار البر و البحر على حد سواء .

و من ثمرات الازدهار التعليمي و الثقافي، أن أربعين بالمائة من السكان الذكور، كانوا يحسنون الكتابة و القراءة، و احتواء كل قبيلة و حي عصري على مدرسة(١١).

دون أن يعني كل ذلك، أن الجانب الثقافي و التعليمي، كان من الأولويات لدى الحكام العثمانيين في الجزائر؛ إذ أضحى من المسلم به، أنه لم يحظى بالأهمية المطلوبة التي أولوها لقطاعات أخرى، و على رأسها القطاع العسكري، و العلة في ذلك طبعا، قد تكمن في ما

يلي:

١- ظروف العصر، الذي وجدت فيه الدولة العثمانية و ولاياتها و من بينها الجزائر، حيث تطلب الأمر توجيه العناية الكبيرة لبناء القوة البحرية، إلى حد جعل الطابع العسكري- صفة ملازمة لها طيلة فترة حياتها.

٢- تعصب العثمانيين و الأتراك لعنصرهم، و حرمانهم للكراغلة(المنحدرين من أمهات جزائريات و آباء أتراك) و الجزائريين من تبوء المناصب الإدارية الهامة، و من لعب دورهم في بعث- الحياة الثقافية و العلمية في بلادهم.

٣- طبيعة النظام العثماني في البلاد التي لم تتغير أبدا- و التي تقوم على أسس رئيسة هي:حفظ الأمن، حماية حدود البلاد، جباية الضرائب.

٤- بما أن الحكام العثمانيين، لم يكونوا من أصول جزائرية أو أندلسية،فقد كان همهم الوحيد يتمثل في تولي السلطة و نيل المكانة المرموقة فحسب، الأمر الذي أدى إلى كثرة الاغتيالات و الانقلابات، ما يعني غياب الاستقرار، الشرط الأساسي للازدهار العلمي و الثقافي(١٢).

و عليه فإن:((الثقافة التعليمية اعتمدت على ذاتيتها و على اهتمام المجتمع الجزائري بها انطلاقا من الزوايا.و نتج عن ذلك أن ازداد نشاط الطرق الصوفية.و في ظل هذا نشأت فئة محافظة من الجزائريين أصحاب الثقافة التقليدية الذين تصدوا للاحتلال الفكري و السياسي للأوروبيين)).

و النتيجة التي ترتبت عن هذه السياسة، هي حرمان الجزائر من أبنائها المتميزين، و في المقابل فتح المجال أمام الجاليات الأجنبية، مثل اليهود على سبيل المثال، للتقرب من الحكام و بسط سيطرتهم على كل الميادين(١٣).

ثانيا- واقع التربية و التعليم بعد الاحتلال:

أما بعد الاحتلال، فقد انقلبت الموازين و تغيرت الأوضاع؛ إذ تم انتهاج سياسة تعليمية، تعتمد على التجهيل و الفرنسة و الإدماج و التغريب (١٤).و نجاح هذه السياسة:((يكمن في العزل القسري للمقومات الحضارية للتراث العربي الإسلامي في الجزائر و تغيير الهوية الثقافية السائدة ، و من ثم على الجزائر أن تكون فرنسية في كل شيء ، و أن تنسى ذاكرتها و جسور اتصالها بالماضي دفعة واحدة و إلى الأبد)) (١٥).إن هذا الكلام يحدد بدقة، الخطوات التي سطرتها السلطات الفرنسية، لتحقيق الأهداف السالفة الذكر.

و في هذا السياق؛ تم الاستيلاء على مراكز الثقافة العربية و الإسلامية، من مساجد و مدارس و زوايا، و تحويلها إلى مراكز للثقافة الفرنسية و للهيئات التبشيرية المسيحية، أو إلى ثكنات و إسطبلات و متاجر ، لأن هذه المراكز هي التي كانت تحتضن التعليم التقليدي في الجزائر، أما الأوقاف الإسلامية فقد لاقت المصير نفسه ، الذي لقيته المؤسسات الإسلامية الأخرى ، و التي كانت تمولها و تمنحها الديمومة و الاستقرار(١٦).

إن هذا الهجوم الاستعماري الشرس، على الثقافة العربية الإسلامية، كان ينبع من إدراك قادة الاحتلال الفرنسي ، أن هذه الثقافة هي العائق الرئيس ، الذي يمكن أن يقاوم ما كانت تسعى إليه من مسخ و تشويه (١٧)، و من ثم وجب تجريد الشعب الجزائري منها، و طمس معالمها و مسخها و:((صبها في قوالب تلاءم أهدافه ، و مخططاته لتضمن لوجوده البقاء))(١٨).

و قد صرح بهذه السياسة، أحد الفرنسيين قائلا:((إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن و يتكلمون اللغة العربية ، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم ، و أن نقتلع العربية من ألسنتهم))(١٩).

و من هنا، فقد كان على سبيل المثال ، فتح مدرسة في نظر الفرنسيين:((أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة و الذخائر، استعدادا للثورة ، و أخطر من فتح محششة(من مخذر الحشيش) يدار فيها الأفيون و الكوكايين و بقية السموم))، كما قال الشيخ الفضيل الورثيلاني (٢٠).

فكانت القرارات و المراسيم في هذا الصدد ، تتهاطل بلا انقطاع ، و منها مرسوم ١٨٩٢م ، الذي منع على المدارس القرآنية استقبال التلاميذ

أثناء ساعات الدراسة اليومية للمدارس الفرنسية (٢١)، و فرض تقديم طلبات رخص فتح المدارس العربية ، و كانت في غالب الأحيان ترفض أو لا يحصل أصحابها على الرد إطلاقا(٢٢).

و قرار ١٣ فيفري ١٩٣٣م، الذي منع العلماء و رجال الجمعية، من التدريس في المساجد، و إقامة حلقات الوعظ و الإرشاد بها. و قانون ٨ مارس ١٩٣٨م، الذي نص على منع أي شخص أو منظمة من إنشاء مدرسة و التعليم فيها، و الذين يخالفون ذلك، يتعرضون للسجن أو التغريم أو معا(٢٣).

و ما أكثر معلمي اللغة العربية، الذين حوكموا أو غرموا و سجنوا مع اللصوص و المجرمين على حد سواء ، بحقد و كراهية كبيرين:((فلقد شهدت المحاكم في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلمو اللغة العربية في موكب اللصوص و القتلة و المجرمين لمحاكمتهم على صعيد واحد ، و قد تنال رحمة القضاة الفرنسيين بعض القتلة و اللصوص و لكن ما جربت يوما أن تنال معلم اللغة العربية أبدا))(٢٤). و على سبيل المثال ؛ فقد بلغ سنة ١٩٤٨م و حدها،عدد المعلمين الذين حوكموا بتهمة التعليم « الحر »، حوالي ثلاثين معلما و مديرا(٢٥).

و سعيا أيضا الفرنسة الألسنة و العقول(٢٦)، تم إبعاد اللغة العربية من الإدارة و فرض اللغة الفرنسية كلغة لغة رسمية في جميع الميادين(٢٧)، و تشجيع استعمال اللغة العامية في الكتابة و المدارس(٢٨). كل هذا من أجل تحطيم اللغة العربية ، التي كانت بالنسبة للفرنسية:((بمثابة الصخرة الغيور،و العدو الحقود اللدود))،على حد تعبير الدكتور عبد المالك مرتاض(٢٩) .

أما بالنسبة للتعليم في المدارس الفرنسية ، فقد سمحت فرنسا لفئة قليلة من الجزائريين ، بارتياد تلك المدارس، على غرار أبناء الجالية الأوروبية ، لحاجتها الشديدة لخلق نخبة ثقافية و سياسية متفرنسة ، تستعملها كأداة هدم لمقومات الشخصية الجزائرية ، و لحاجتها إليها في تولي بعض المناصب الإدارية ، التي يتطلب أن يشغلها أبناء الأهالي (١٩) ، لكن في حدود ضيقة خوفا من أن يتحول المتعلم الجزائري المتفرنس ، إلى سلاح ضد فرنسا ذاتها(٢٠).

فكانت هذه المدارس ؛ التي تستقبل في صفوفها بعض الجزائريين ، تقدم لهم تعليما يمجد كل ما هو فرنسي حضارة و ثقافة و جغرافية ، و يمقت كل ما هو عربي و جزائري(٢١)، وفق منهاج تربوي محكم ، يحاول تنشئة أجيال جزائرية مقطوعة الصلة بمقوماتها و جذورها(٢٢)، ليجعل في النهاية هؤلاء المتعلمين الفرنسيين يرددون بصوت مرتفع:((أجدادنا هم القولوا – سكان فرنسا الأقدمون – ، الرومان هذبونا و مدنونا ، أكبر رجالنا نابليون بونابرت ، قديستنا القومية جان دارك ... الخ))(٢٣).

أما الظروف التي كانوا يتعلمون فيها فهي غير مناسبة تماما، عدد محدود للحجرات الدراسية التي تعرف اكتظاظا كبيرا، و تعمد في اختيار أضعف المعلمين، و فارق شاسع في الميزانية المخصصة لهم، مقارنة مع نظيرتها التي تخصص لأبناء الأوروبيين(٢٤).

و هو ما يفسر انخفاض نسبة التمدرس، خاصة في الأرياف ، إذ كان يلتحق بالمدرسة الفرنسية ، طفل جزائري واحد من بين خمسين أو سبعين طفلا وصلوا إلى سن الدراسة(٢٥).

أما بالنسبة للتعليم العالي، فلم يكن مفتوحا إلا في وجه أبناء الأعيان، المتعاونين مع السلطات الاستعمارية، و لذلك فإن نسبة الطلبة الجزائريين، كانت لا تزيد عن ١٥/١ من مجموع الطلبة الجامعيين(٢٦).

و لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تم الاستيلاء حتى على المكتبات العمومية ، و نهب مخطوطاتها و كتبها و إحراقها ، و هذا منذ أيام الأولى للاحتلال ، مثل ما حدث لمكتبة « الأمير عبد القادر « (١٨٠٧م-١٨٨٣م) قائد المقاومة المسلحة(١٨٣٢-١٨٤٧م) الذي كان يقتفي آثار الجيش الفرنسي في الصحراء، بأوراق كتب مكتبته المبعثرة(٢٧).

و قد وصف الزعيم المصري محمد فريد (١٨٦٨م-١٩١٩م)(٢٨) ، الذي زار الجزائر في أوائل القرن العشرين ، الحالة التي آلت إليها الثقافة في البلاد قائلا:((أصبحت و ليس فيها من المدرسين بالجوامع إلا ما يعد على الأصابع ، و قل الطالب و المطلوب و هجرت ربوع العلم ، و خربت دور الكتب

، و صارت الديار مرتعا للجهلاء ، و كادت تندرس- تنقرض - اللغة العربية الفصحى، و باختصار فحالة التعليم بالقطر الجزائري سيئة جدا ، و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات بل ربما تندرس اللغة العربية مع مرور الزمن فلا حكومة تسعى في حفظها ، و لا تدع الأهالي يؤلفون جمعيات لفتح المدارس لمنعها أي اجتماع خوفا من أن تشتغل جمعياتهم بالأمور السياسية)).

و الحق أن محمد فريد، و رغم قصر مدة إقامته بالجزائر ، إلا أنه استطاع أن يلاحظ الوضع المتردي الذي وصلت إليه الأوضاع الثقافية في الجزائر آنذاك ، فجاء وصفه السابق معبرا عن ذلك بأدق تعبير.

و في هذا الصدد أيضا ، قال السيد مطران الذي كان وزيرا فرنسيا سابقا ، و زار الجزائر رفقة وفد من كبار الفرنسيين سنة ١٩٥٤م ، و أدلى بشهادته عما شاهد و رأى ، و مما جاء فيها:((إن مليونين من أبناء المسلمين ، لا يتلقون أي تعليم على أي مقعد مدرسي ، و ذلك بعد أن بسط عليهم النظام الاستعماري رحمته طيلة ١٢٥ عاما ، و رأينا أن المسلمين لا يشاركون في التعليم الابتدائي إلا على نسبة ١٠ بالمائة و ليس لهم بالتعليم العالي إلا ثلاثمائة طالبا ، و رأينا الأبواب العلمية كلها موصدة في وجه المسلمين ، و خرجنا من كل ذلك بنتيجة عظيمة ، إذا كنا في فرنسا نجهل معنى العنصرية ، فهي في القطر الجزائري القانون الرئيس المعمول به))(٢٩).

إن شهادة السيد مطران هذه ، إضافة إلى تصويرها للوضع الثقافي البائس، الذي كانت تعيشه الجزائر، فإنها ذات مصداقية كبيرة ، لكون صاحبها شخصية سياسية مرموقة، في الأوساط السياسية الفرنسية.

ثالثا- الصحافة الناطقة باللغة العربية:

أما فيما يتعلق بالإعلام، فإن الجزائر قد عرفت الصحافة في وقت مبكر، منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر(ق ١٩م)، لكنها كانت صحافة فرنسية، لا تخدم إلا المصالح الاستعمارية(٣٠).

هي إذن صحافة حكومية، تمثل المرحلة الثانية في المشروع الاستعماري، بعد نجاح المرحلة الأولى، المتمثلة في بسط السيطرة العسكرية على البلاد، حيث انتبهت سلطات الاحتلال إلى أهمية:((نسج شبكة للاتصال بالرأي العام الجزائري قصد استغلال عقول الجزائريين و استعباد أفكارهم)) (٣١).

فظهرت على الساحة الإعلامية، مجموعة من الصحف باللغتين الفرنسية و العربية، بالأسلوب و الأهداف نفسها، يتكفل الحاكم العام للجزائر بالإشراف عليها بصورة مباشرة، مثلما كان عليه الحال بالنسبة لجريدة « المبشر »، أو بصورة غير مباشرة، من خلال تقديم الدعم المالي و تيسير ظروف العمل، مثل جريدة « كوكب إفريقيا » و جريدة « النجاح «(٣٢).

و في مطلع القرن العشرين (ق٢٠م) بدأت في الظهور صحافة جزائرية إصلاحية باللغة العربية، و لكنها كانت تتعرض إلى التوقيف و المصادرة، و تعاني معاناة شديدة من مشكل التمويل(٣٣).و من أبرزها جريدة « الإقدام « التي أسسها الأمير خالد- حفيد الأمير عبد القادر- التي أريد لها أن تكون بمثابة ناطق رسمي باسم مسلمي شمال إفريقيا(٣٤).

و قد كانت السلطات الإدارية الاستعمارية، تبرر رقابتها المشددة على تلك الصحافة الجزائرية الحرة، بحجة تهديدها للأمن العام ، تطبيقا لقرار ٢٨ أوت ١٩٣٩م ، الذي أعطى للإدارة حق مراقبة المطبوعات و حتى منعها أو وقفها . و بهدف تشويه صورة الصحف الجزائرية، كانت تنعتها بالصحف « المعادية « و « التخريبية «(٣٥).

رابعا- فلسفة جمعية العلماء في التربية و التعليم:

أدرك قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أهمية التربية و التعليم في التصدي للسياسة الثقافية الاستعمارية الفرنسية، التي كانت ترمي إلى القضاء على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، المتمثلة في:اللغة العربية، و الدين الإسلامي، و الانتماء الحضاري العربي الإسلامي.و إنتاج أجيال جزائرية أمية لا تقرأ و لا تكتب، إلا في حدود ما يفيد مصلحة المستعمر، منحرفة الأخلاق و مسلوبة الفكر،

فتعيش في حالة تبعية دائمة له، دون أن تعرف طريقا للخلاص من قبضته.

و في هذا الصدد، يعتبر الشيخ عبد الحميد ابن باديس(١٨٨٩م-١٩٤٠م) و الشيخ البشير الإبراهيمي(١٨٨٩م-١٩٦٥م)، من أبرز أقطاب الجمعية، الذين نظروا لمنهجها التربوي، الذي قام على جملة من الأسس و هي:

تربية النشء على الأفكار الصحيحة و الأخلاق الحسنة، و عدم التوسع له في العلم، بناءا على ما اتفق عليه الشيخان لما التقيا أول مرة بالمدينة المنورة سنة ١٩١٣، و هو ما أكده الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله(٣٦): ((كانت الطريق التي اتفقنا عليها أنا و ابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة، في عام١٩١٣م في تربية النشء و هي أن لا نتوسع له في العلم، و إنما نربيه على فكرة صحيحة، و لو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا)).

و لكن ذلك لا يعني، رفض الحضارة المادية و العلوم العصرية، التي ترقى بها المجتمعات إلى مصاف الشعوب و الأمم المتقدمة، و إنما المقصود منه ضرورة توفر الجانب الروحي في أبناء الشعب الجزائري؛ لأن ذلك يكسبهم تشبعا بشخصيتهم الوطنية، و يمنعهم من الانسلاخ و الذوبان في كيان المجتمع الفرنسي، الذي كان يمنيهم و يغريهم بحياة أفضل إن هم تخلوا عن مقوماتهم الشخصية. أما العلوم و المعارف العصرية، فتأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، بالنسبة لشعوب المستعمرات و الشعب الجزائري(٣٧).

و عليه فقد اعتنى العلماء: ((بتربية الشباب تربية أخلاقية قويمة في المدرسة و المجتمع،لأن التربية هي العاصم للفتى و الفتاة من الانحرافات الخلقية و الوطنية،لأن الشخص الذي لا يستطيع أن يوجه سلوكه بنفسه،لا يمكن أن يؤتمن على مصالح الأمة،و من هذا المنظور كان ابن باديس يعمل على المحافظة على التراث العربي الإسلامي في الجزائر،باعتباره فنا أو نشاطا من أهم أوجه النشاط في المجتمع.ومن هذا المنطلق أيضا حدد الأهداف التربوية في حركته الإصلاحية)) (٣٨).

و في المقابل، لم يهمل العلماء المعلم أو المربي و أولوه: ((عناية خاصة على المستوى النظري و العملي-لأنهم أدركوا- كما أدرك كل المربين المسلمين الدور الذي يقوم به المعلم في العملية التربوية التعليمية، باعتبار أنه هو الذي يقود الجيل إلى شاطئ النجاة،فهو في الأمة بمثابة القلب في الجسد،فهو الرائد الأصيل،و الموجه الحكيم في تربية الأجيال و صناعة الرجال و تخريج القادة،و الدفاع عن الهوية،و الذود عن حياض الأمة)) (٣٩).

و عليه، فقد وضع الشيخ البشير الإبراهيمي، جملة من الشروط والأخلاقيات والآداب التي ينبغي أن تتوفر في من يضطلع بأداء الرسالة التربوية و التعليمية،و التي حصرها الأستاذ عزيز سلامي(٤٠) في النقاط التالية:

١- الإيمان العميق بشرف العلم و التعلم و التعليم.

٢- ضرورة حصول القدوة الحسنة من المعلم.

٣- ضرورة الاستزادة من العلم،و الاستفادة من التعليم، و الإكثار من المطالعة و البحث.

٤- الصبر على المكاره، و الثبات في الشدائد و الأزمات.

٥- الشفقة على المتعلمين و التحبب إليهم و رعاية الأطفال و سياستهم بالرفق و الإحسان.

٦- وجوب دراسة ميول الأطفال و نفسياتهم و قدراتهم.

٧- اتخاذ أسلوب الترغيب في سياسة الأطفال و رعايتهم بدل الترهيب، و الابتعاد عن القسوة و العنف.

٨- اتخاذ أسلوب التدرج في التربية و التعليم من مرحلة إلى مرحلة أكمل، في إعطاء المعلومات و تثبيت الأخلاقيات.

٩- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين و إمكاناتهم الذاتية.

١٠- اعتماد طريقة التلميح و باللين و الرفق في إصلاح سيء الأخلاق و الأحوال من تلاميذه.

١١- الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم.

و الحق أن هذه الأفكار، و رغم أن صاحبها لم يدرس العلوم التربوية في معهد أو مؤسسة جامعية، إلا أنها تنسجم تماما مع المفهوم الحديث للتنشئة الاجتماعية، التي تعني عند علماء الاجتماع: ((تلك العملية التي يتلقى من خلالها الطفل أنماطا من التفكير و السلوك بواسطة أعضاء

الجماعة التي تقع عليها مسؤولية صياغة و صهر سلوكه))(٤١).

و تعني عند علماء النفس:((العملية التي ينمو من خلالها الفرد ليكون كائنا اجتماعيا، أو هي العملية التي يكتسب بها الفرد الحساسية للمنبهات الاجتماعية(مثل الضغوط و الالتزامات الاجتماعية) و يتعلم السير في إطارها،و يسلك مثل الآخرين في جماعته أو ثقافته))(٤٢).

خامسا- حصيلة خمس و عشرين سنة من العمل و النشاط:

بالرغم من القوانين التعسفية، و التضييق و المطاردات و الغلق و التغريم،فقد تمكنت جمعية العلماء من الصمود في وجه كل ذلك، بفضل عزيمة قادتها، و تفاني و إخلاص أعوانها من الإداريين و المعلمين و المتطوعين، و سخاء المتبرعين من عامة الشعب و خاصته.حتى أضحت رقما مهما، في معادلة محاربة الأمية و الجهل، و التصدي لسياسة الإدماج و الفرنسة و التغريب،محققة نجاحات قياسية من حيث الكم و الكيف،على نحو أذهل خصومها من الجزائريين أو من الجانب الفرنسي على حد سواء.

ففي حدود سنة ١٩٥٢م، بلغ مجموع المدارس التي كانت تشرف عليها حوالي مائة و خمسون مدرسة،يرتادها خمسون ألف تلميذ يؤطرهم نحو ألفي معلم(٤٣).

و نظرا لتزايد عدد التلاميذ، الذين كانوا يتخرجون سنويا من تلك المدارس، و يجدون أنفسهم محرومين من مزاولة تعليمهم العالي،ارتأى الرئيس الثاني للجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي و زملاءه العلماء،إنشاء معهد ثانوي يتخذ من قسنطينة مقرا له و من عبد الحميد ابن باديس اسما له، يدرس فيه الطلبة لمدة أربع سنوات، تتوج بحصولهم على الشهادة الأهلية التي تجيز لهم الدراسة في جامع الزيتونة(٤٤).

و قد افتتح أول موسم دراسي له، في شهر ديسمبر من سنة ١٩٤٧م، بعد أن قام الشيخ الإبراهيمي بوضع برنامج له تضمن الدروس، التي تلقى و الكتب المقررة، و المناهج التربوية، و طرق التعليم المتبعة(٤٥).

والحقيقة أن انجاز معهد ابن باديس، لم يكن هدفا في حد ذاته،و إنما كان بداية لمشروع طموح،لانجاز معاهد أخرى في الجزائر على المدى البعيد، أو على الأقل انجاز معهدين آخرين في مدينتي الجزائر(العاصمة) و تلمسان(عاصمة الإقليم الغربي) (٤٦).

بل أكثر من ذلك، كان الحلم الأكبر يتمثل في إنشاء جامعة عربية إسلامية بمدينة الجزائر أو في مدينة جزائرية أخرى، على طراز جوامع الزيتونة و الأزهر و القرويين، تجمع بين تدريس العلوم الدينية الصحيحة و العلوم الدنيوية الحديثة و النافعة، لكن هذا الحلم لم يتحقق في أرض الواقع، بسبب قلة الموارد المالية(٤٧).

و قد بذل رئيس الجمعية، الشيخ البشير الإبراهيمي، مساعي حثيثة توجت باعتراف جامع الزيتونة بمعهد ابن باديس كفرع له، ثم اعتراف معاهد المشرق العربي بالشهادات التي كانت تمنحها مدارس جمعية العلماء، فأصبحت في المستوى نفسه من حيث القيمة العلمية و التربوية(٤٨).

استمر المعهد، في أداء رسالته التربوية و الحضارية، لمدة عشر سنوات ١٩٤٧م-١٩٥٧م:((كانت أيام عزه و ازدهاره، علم فيها أساتذته لأبناء الشعب هويتهم و شخصيتهم و تاريخ أمجادهم و مقوماتهم الوطنية، و من تلك الأيام كانت مشتلة إطارات الثورة و الاستقلال، تخرجت منه تلك النخبة التي قادت في أكثر من موقع حرب التحرير و بناء الدولة و المدرسة الجزائرية الحديثة))(٤٩).

و في السياق ذاته، قامت الجمعية بإنشاء لجنة التعليم العليا، التي أوكل لها مستقبلا:وضع البرامج الدراسية و تقرير كتب الدراسة، و إصدار اللوائح التنظيمية،و تعيين المعلمين و وضع الدرجات لهم، و اختيار المفتشين، و تنظيم الملتقيات التربوية و الندوات البيداغوجية، بغرض مناقشة قضايا التربية و التعليم، و بحث طرق و وسائل تحسينهما(٥٠).

و لم تقتصر الجهود على تعليم الذكور فحسب، بل أوليت عناية كبيرة لتعليم البنات،فقد أنجزت مدارس خاصة بهن في مختلف أنحاء الوطن، و قد تزايد عدد التلميذات مع مرور الوقت حيث وصل إلى حدود ثلاثة عشر ألف تلميذة سنة ١٩٥١م،و تكملة لذلك كان الإبراهيمي يخطط لإنشاء دار

للمعلمات، و معهد للبنات يماثل معهد ابن باديس للذكور(٥١).

كان موقف العلماء واضحا لا لبس فيه، بخصوص تعليم المرأة، و هو أنه حق طبيعي لا يستطيع أيا كان أن يحرمه منها، نلمس ذلك صراحة في تساءل الشيخ عبد الحميد ابن باديس:((... هل العلم ورد صفاء للرجال ومنهل كدر للنساء؟هل له تأثيران حسن على فكر الذكور و قبيح على فكر الإناث...)) (٥٢).

كما حرصت الجمعية، على تأسيس الصحف الناطقة باللغة العربية، إدراكا من قادتها، لأهمية هذه الوسيلة في تبليغ رسالة الإصلاح في شتى ربوع الجزائر، خاصة و أن الساحة الإعلامية كانت تعج بالصحف الفرنسية، التي تتبع الحكومة أو المستوطنين.و من أهم الصحف التي ظهرت إلى الوجود في هذا الصدد:الشهاب(سنة ١٩٢٥م)، السنة النبوية(مارس ١٩٣٣م)، و صحيفة الشريعة النبوية المحمدية(جويلية ١٩٣٣م)،وصحيفة الصراط السوي(سبتمبر ١٩٣٣م)، و جريدة البصائر(ديسمبر ١٩٣٥م).و لشدة خوف إدارة الاحتلال من توجهات المشرفين عليها و الأقلام التي كانت تكتب فيها، راحت تترجم كل ما ينشر فيها من مواضيع و مواد ترجمة كاملة، ترسل إلى السلطات العليا في باريس، مرفقة بتحذيرات و نصائح بضرورة تشديد الخناق عليها أو تعطيلها، بحجة خطرها على السيادة الفرنسية(٥٣).

انتبهت الجمعية إلى الجالية الجزائرية الكبيرة، التي كانت تعيش في فرنسا، فقررت بداية من سنة ١٩٣٦م، توسيع نشاطها التربوي و الإصلاحي، ليشمل هذه الشريحة المهملة من المجتمع الجزائري في ديار الغربة، إنقاذا لها من الانحراف و الذوبان في الوسط الاجتماعي الفرنسي.و قد أوكلت المهمة للشيخ الفضيل الورثيلاني، الذي كانت تتوفر في شخصه الصفات الضرورية لمثل هذه المهمة العظيمة:((كالإخلاص و الوطنية، والكفاءة العالية، والعزيمة القوية، و الشجاعة الأدبية، و القدرة على التنظيم، فضلا عما يتمتع به من فصاحة لسان بالعربية و القبائلية(لهجة أمازيغية) و الفرنسية...))(٥٤).

و بمجرد نزوله بباريس، في ٢٢ جويلية سنة ١٩٣٦م، شرع في تنفيذ المشروع الذي كلف به، و البداية كانت بتأسيس « جمعية نادي التهذيب « التي نص قانونها الأساسي على حرية فتح فروع لها في أي ناحية، فضلا عن إنشاء نوادي للتربية و التعليم.و قد استطاع الشيخ الورثيلاني في ظرف قصير، أن يؤسس إحدى عشر ناديا في باريس، إلى غاية عشية الحرب العالمية الثانية.و النادي عبارة عن مقر، به قاعة للمحاضرات، و أخرى للصلاة، و حجرة واحدة على الأقل للتعليم، علاوة على فضاء لالتقاء مرتاديه و تناول المشروبات الحلال، و في المجمل فإن النادي عبارة عن شبه مؤسسة تستقطب الأشخاص، و تتيح لهم فرص اللقاء و التعارف و التضامن، و تلقي العلم و المعرفة، و أداء الشعائر الدينية الإسلامية(٥٥).

وزعت نوادي التهذيب نشاطها على ثلاثة أصعدة: التربية و التعليم، الوعظ و الإرشاد، إحياء المناسبات الدينية. فعلى الصعيد الأول- الأساسي- اهتمت بتعميم التعليم على كل الفئات العمرية، و عليه فقد وجد صنفان من المتعلمين:الصنف الأول و يتألف من أبناء العمال الجزائريين الذين هاجروا إلى فرنسا بمعية أسرهم، أو تزوجوا من نساء أوروبيات خلفوا منهن أولادا، كانوا يلقنون في البداية، القراءة و الكتابة و مبادئ اللغة العربية و الدين الإسلامي، فضلا عن التربية الأخلاقية و الوطنية، وتشير بعض الإحصائيات إلى أن عددهم فاق الألف طفل في أواخر سنة ١٩٣٦م.أما الصنف الثاني، فيشمل كبار السن من العمال أو العاطلين، حيث تفتح لهم الأقسام مساء، و يلقنون القراءة و الكتابة باللغتين العربية و الفرنسية، و القرآن الكريم و الأخلاق الإسلامية، و بسبب الإقبال على الدروس من قبل هذه الشريحة،تم استحداث قسم أعلى(٥٦).

أما على صعيد الوعظ و الإرشاد، فقد دأبت النوادي التهذيبية، على برمجة محاضرة كل أسبوع، بالإضافة إلى احتفال شهري يقام في المركز الرئيس الكائن مقره بالعاصمة باريس. أما مضمون المحاضرات فكان متنوعا، يشمل كل جوانب الثقافة الإسلامية، يتولى تقديمها و تنشيطها زيادة على أعضاء بعثة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أعلام و مفكرون من المشرق العربي(٥٧).

هذا و لم تكن تلك النوادي، تترك مناسبة دينية إسلامية تمر دون إحيائها، مثل المولد النبوي الشريف و عيدي الفطر و الأضحى... و غيرها، وسط إقبال جماهيري كبير، من قبل الجاليات الإسلامية المتعددة الجنسيات المقيمة في فرنسا، التي تجتمع في مكان واحد:((تجمعهم عقيدة التوحيد رغم بعد ديارهم و تباين أوطانهم، ليسمعوا النصائح و الخطب القيمة بالعربية و القبائلية و الفرنسية، و يقضوا أعيادهم في استفادة و اتعاظ و سرور))(٥٨).

خاتمة:

لا شك أن الإنجازات السابقة، إن دلت على شيء، فإنها تدل على الدور الحضاري الصعب و المصيري، الذي اضطلعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأدائه، في ظروف استعمارية غير إنسانية، من جهة.و على التطور الذي أحرزته في مجال التربية و التعليم، و المستوى التنظيمي العالي الذي أصبحت تتميز به أعمالها، من جهة ثانية.

و بفضل جهود شيوخها و معلميها و إداريها، و التفاف شرائح واسعة من المجتمع الجزائري حول مشروعها التربوي و الثقافي و الحضاري، أمكن إحياء اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في الجزائر، بعد أن كادتا أن تنقرضا نهائيا من كل ربوع البلاد، و بالتالي إنقاذ هذه الأخيرة – الجزائر- من النهاية التي أرادها لها المحتل منذ البداية، و هي و أن تصبح قطعة من فرنسا أولا ثم من أوروبا ثانيا و من الغرب ثالثا، و هو حلم كان أقرب إلى التحقيق، لكنه تبخر بما يشبه المعجزة، حيث جرت الرياح بما لا تشتهي سفن الدوائر الاستعمارية.

و منه فإن خسارة المحتل، لمعركة الفرنسة و الإدماج و التغريب و المسخ و التشويه في الجزائر، كانت نهاية لوجوده العسكري، الذي لم يستطع أن يحافظ عليه، بالرغم من بلوغ عدد ضباطه جنوده النظاميين، الذين دفع بهم إلى الجزائر للقضاء على الثورة التحريرية مليون ضابط و جندي، مدججين بأفضل الأسلحة و العتاد و الآليات التي أنتجتها الصناعة الحربية آنذاك، لأن جوهر الصراع كان بالأساس حول على المقومات الحضارية لامتلاك المقومات الاقتصادية و الإستراتيجية.

هوامش و مصادر و مراجع البحث:

(١) عبد الحليم ابن سماية(١٨٦٦م-١٩٣٣م): رجل علم و فلسفة و أدب، كان من السباقين إلى نشر الفكر الإصلاحي في الجزائر، قبل ظهور الحركة الباديسية، عمل مدرسا بمدرسة خاصة باللغة العربية بالجزائر العاصمة سنة ١٨٩٦م، ثم في المدرسة الثعالبية، فكان له الفضل رفقة الشيخ عبد القادر المجاوي، في إنتاج جيل متمسك باللغة العربية و بالعقيدة الإسلامية.ظل على اتصال دائم، بالحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي، متابعا لمجريات الأحداث السياسية و التطورات الفكرية، على الساحة العربية الإسلامية من ناحية، و الدولية من ناحية ثانية، من خلال الصحف التي كانت تصله باللغتين العربية و الفرنسية.له عدة مؤلفات منها:فلسفة الإسلام، الذي قدم الفصل الأول منه في مؤتمر المستشرقين الرابع، الذي انعقد في الجزائر سنة ١٩٠٥م، بالإضافة إلى مقالات عديدة نشرها في صحف مشهورة مثل المنار، و علاوة على ذلك عرف بمساهمته المتميزة في فن الموسيقى العربية. رفض تلبية طلب فرنسا بإصدار فتوى تجيز محاربة الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى، على عكس بعض نظرائه العلماء الذين استجابوا لها.بوالصفصاف عبد الكريم:الفكر العربي الحديث و المعاصر- محمد عبده و عبد الحميد ابن باديس نموذجا، ج ١، دار الهدى، الجزائر:د ت، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٢) أبو القاسم محمد الحفناوي(١٨٥٢م-١٩٤٢م):أديب و مؤرخ موسوعي جزائري، كان والده من أبرز علماء عصره في اللغة و الأدب و الفقه و التوحيد و النحو و الصرف و المنطق و الحساب و علوم البلاغة و العروض، حيث تعلم على يديه، تقلد منصب مدرس بمدينة الجزائر سنة ١٨٩٧م، أصبح عضوا في هيئة تحرير جريدة المبشر سنة ١٨٨٤م و إلى غاية ١٩٢٧م،تأثر بالنهضة العربية في المشرق العربي، اهتم بإحياء التراث العربي

القديم، و بالإطلاع على ما استجد من المخترعات الحديثة.كان من الشغوفين بفن الرسم و التصوير، و من المعجبين بالفكر الصوفي و خاصة ابن عربي.من آثاره:تعريف الخلف برجال السلف، المستطاب في أقسام الخطاب، غوص الفكر في حروف المعاني، ترجمة كتاب القول الصحيح في منافع التلقيح.... اعتبر من كبار الباحثين العرب في مطلع القرن العشرين.للمزيد أنظر بوالصفصاف عبد الكريم، و آخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين، ج ٢، منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر:٢٠٠٤م، ص ٥٦ و ما بعدها.

(٣) حمدان الونيسي(١٨٥٦م- ت بعد ١٩١٠م):ولد بمدينة قسنطينة سنة ١٨٥٦م، من عائلة عريقة بالمدينة، التي عين مدرسا بجامعها الكبير و هو لم يتجاوز سن الخامسة و العشرين، حيث كشف عن كفاءته و جدارته بسرعة وسط كبار علماء و شيوخ المدينة، حتى أضحى من كبار الأعيان، طريقته في التدريس نالت إعجاب و مدح المفتشين الفرنسيين الذي قاموا بزيارته؛ فمنهم من قال فيه على سبيل المثال: « أنه مكسب لمدينة قسنطينة و أنه أهل للدروس العليا و ليس الابتدائية و مكسبا تربويا و علميا و لهذه المدينة العريقة «.كان من بين تلامذته الشيخ عبد الحميد ابن باديس، مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بعد، قامت السلطات الفرنسية بطرده من وظيفة التدريس سنة ١٩١٠م بسبب عدم استساغتها لما كان يقوم به من توعية للتلاميذ و لقوة تأثيره على السكان، ففضل الهجرة إلى المدينة المنورة في السنة نفسها، حيث أدى فريضة الحج و أصبح من ضمن المدرسين في الحجاز.بوالصفصاف عبد الكريم، و آخرون، المرجع السابق، ص ٥٦ و ما بعدها.

(٤) مولود ابن الموهوب(١٨٦٦م- ١٩٣٩م):يعتبره بعض المؤرخين الجزائريين، من أهم الشخصيات الجزائرية، التي اضطلعت بدور متميز خلال الربع الأول من القرن العشرين، و في التمهيد لظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر في بداية العشرينات، تبوأ مناصب و وظائف هامة من مثل:مدرس بالمدرسة الكتانية من ١٨٩٥م-١٩٠٨م، مفتي قسنطينة سنة ١٩٠٨م، مفتي بمسجد باريس سنة ١٩٢٦م، كان له نشاط اجتماعي بتأسيسه لنادي صالح باي سنة١٩٠٧م.أشاد في محاضراته و خطبه، بمنافع العلم و كشف مضار الجهل، و حث على العمل و ترك الكسل، و دعا إلى الاقتداء بالأوروبيين في التربية و الاتحاد، و شجع على التعليم و خصوصا تعلم اللغتين العربية و الفرنسية، انتقد البدع و الخرافات المنتشرة وسط المجتمع الجزائري محملا الطرق الصوفية المسؤولية في ذلك.للمزيد أنظر صاري أحمد:شخصيات و قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم أبو القاسم سعد الله، دون طبعة، المطبعة العربية، غرداية،الجزائر:د ت، ص ٧ و ما بعدها.

(٥) مطبقاني مازن صلاح حامد:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٣٤٩ه-١٣٥٨ه/١٩٣١م-١٩٣٩م، تقديم أبو القاسم سعد الله، ط ١، عالم الأفكار، الجزائر:٢٠١١م، ص ٥٧ و ما بعدها.

(٦) حمادي عبد الله:رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة ١٩٣٨م، دون طبعة،دار البعث، قسنطينة، الجزائر:٢٠٠٤م، ص ١١٢.

(٧) عباس فرحات:ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، دون طبعة، الجزائر:د ت، ص ٦٠.

(٨) ابن حمادوش الجزائري:ولد في مدينة الجزائر سنة ١١٠٧ه/١٦٩٥م، و توفي بعد حوالي تسعين سنة في مكان و تاريخ مجهولين، تقلد عدة وظائف دينية، إضافة إلى العلوم الشرعية و اللغوية، فقد تخصص في علوم الطب و الفلك و الرياضيات و الصيدلة و الحساب، كما عرف برحلاته خارج الجزائر بغية الاطلاع و الاستكشاف.للمزيد أنظر أبو القاسم سعد الله:رحلة ابن حمادوش الجزائري، دون

طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر:١٩٨٢م.

(٩) ابن العنابي:ولد سنة ١١٨٩ هجرية/١٧٧٥م، و توفي سنة ١٢٧٦م/١٨٥١م، من أسرة كانت لها مكانة دينية و فكرية هامة، كان يتمتع بثقافة كبيرة في العلوم الشرعية، تولى عدة مناصب منها منصب القضاء الحنفي في عهد الداي أحمد باشا، عرف عنه أنه كان شديد النقد للسلطات الفرنسية على خرقها لاتفاق ٠٥ جويلية ١٨٣٠م القاضي باحترام مقدسات و رموز و أملاك الجزائريين من قبل الدولة المحتلة، ترك آثارا فكرية عديدة منها:كتاب « السعي المحمود في نظام الجنود ».للمزيد أنظر بن قينة عمر:شخصيات جزائرية، ط ١، دار البعث، قسنطينة، الجزائر:١٩٨٣م،ص ٢١ و ما بعدها.

(١٠) حمدان خوجة:من المولدين(الكراغلة:من أم جزائرية و أب تركي)، ولد حوالي سنة ١٧٧٣م، و من المحتمل بالجزائر العاصمة، أما وفاته فمن المرجح أنها كانت بين سنتي ١٨٤٠م-١٨٤١م، سافر إلى الكثير من البلدان الإسلامية، و المسيحية، خلف عدة آثار من أشرها:كتاب « المرآة « الذي ألفه سنة ١٨٨٣م. للمزيد أنظر عميراوي حميدة:دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (١٨٢٧م-١٨٤٠م)، دون طبعة،دار البعث،قسنطينة، الجزائر:١٩٨٧م.

(١١)-FANNYCOLONNA : instituteurs Algériens ١٨٨٣-١٩٣٩ ، ALGER ، O.P.U ، ١٩٧٥،PP. ٢٧-٣٠.

(١٢) عميراوي حميدة:جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، ط ٢، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر:٢٠٠٥م، ص ٣١،٣٠، ٣٢، ٣٣.

(١٣) المرجع نفسه، ص ٣١.

(١٤) تركي رابح:التعليم القومي و الشخصية الجزائرية ١٩٣١م-١٩٥٦م، دون طبعة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر:١٩٨١م، ص١٠٤.

(١٥) بوصفصاف عبد الكريم:الأبعاد الثقافية و الاجتماعية و السياسية في حركتي محمد عبده و عبد الحميد ابن باديس، أطروحة دولة غير منشورة، ج ١، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر:السنة الجامعية ١٩٩٩م-٢٠٠٠م، ص٨٧ .

(١٦) تركي، المرجع السابق، ص ص ٩٣-٩٥.

(١٧) محساس أحمد : « التعليم و الثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية « ، مجلة الثقافة ، الجزائر ، العدد ٨٥ جانفي / فيفري ١٩٨٥ ، ص٥٧ .

(١٨) سلوادي حسن عبد الرحمان:عبد الحميد ابن باديس مفسرا، د ون طبعة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر:١٩٨٨م ، ص ٢٨ .

(١٩) الإبراهيمي محمد البشير:آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج٢، جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت:١٩٩٧م.

(٢٠) الورثيلاني الفضيل:الجزائر الثائرة، دون طبعة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر:١٩٨٢م ، ص ٩٠ .

(٢١) FANNY C·L ، OP-cit. P ،.٦.

(٢٢) تركي رابح :» الصراع بين جمعية العلماء و إدارة الاحتلال الفرنسي بالجزائر ما بين ١٩٣٣م – ١٩٣٩م « ، مجلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص ١٢٥.

(٢٣) المرجع نفسه ، ص ص ١٩٥-١٩٧ .

(٢٤) الورثيلاني الفضيل ، المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢٥) محساس، المرجع السابق، ص٧٣.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٦٧.

(٢٧) تركي : « التعليم القومي و الشخصية الجزائرية « ، مرجع سابق ، ص ٩٤.

(٢٨) سلوادي ، المرجع السابق ، ص ٣٠ . نقلا عن محمد فريد بك : « التعليم و المدارس في الجزائر « ، جريدة اللواء ، عدد ٦١٢ ، ١٣ أكتوبر ١٩٠١.

(٢٩) الورثيلاني، المصدر السابق، ص ١٩١-١٩٢.

(٣٠) سعد الله أبو القاسم:الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٠٠م-١٩٣٠م، ج ٢، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر:١٩٨٣م، ص ٣٣، ٤٥.

(٣١) كرليل عبد القادر: « نشأة الصحافة

في الجزائر «، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، الجزائر، العدد ١١، السداسي الأول/٢٠٠٥م، ص ٢١٩.

(٣٢) للمزيد أنظر المرجع نفسه، ص ٢١٩ و ما بعدها.

(٣٣) سعد الله، المرجع السابق، ص ٣٣، ٤٥.

(٣٤) للمزيد أنظر كرليل،المرجع السابق، ص ٢٣٠ و ما بعدها.

(٣٥) سعد الله، المرجع السابق، ص ٣٣، ٤٥.

(٣٦) الإبراهيمي محمد البشير، المصدر السابق، ج٤ ،ص٣٤٣.

(٣٧) فايد بشير:الشيخ البشير الإبراهيمي و دوره في القضية الوطنية ١٩٢٠-١٩٦٥م،مذكرة ماجستير غير منشورة،إشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ،كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية،جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، السنة الجامعية ٢٠٠٠م/٢٠٠١م، ص٦٦.

(٣٨) بوالصفصاف عبد الكريم: « المنهج التربوي عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس «،مجلة الشهاب،مؤسسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الجزائر، العدد ٠٣،أفريل ٢٠٠٣م،ص٤٠.

(٣٩) سلامي عزيز: « أسس العملية التربوية و مقوماتها عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي «،مجلة الموافقات،المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر،العدد ٠٤/ جوان ١٩٩٥م،ص٧١٣.

(٤٠) المرجع نفسه، ص ٧١٥ و ما بعدها.

(٤١) داود معمرية:مقاربة ثقافية للمجتمع الجزائري- دراسة لبعض الملامح السوسيونفسية و الاقتصادية،ط ١،دار طليطلة،الجزائر،٢٠٠٩م،ص ١٨.نقلا عن محمد السيد أبو الليل:علم النفس الاجتماعي،دار النهضة العربية،بيروت:١٩٨٥م،ص٤١.

(٤٢) المرجع نفسه، .

(٤٣)الإبراهيمي:في قلب المعركة، مصدر سابق،ص٩٥.

(٤٤) الإبراهيمي:آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج ٢، مصدر سابق،ص ص ٢١٢- ٢٢٢.

(٤٥) المصدر نفسه، ص١٩٦.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٩٦ – ١٩٧.

(٤٧)المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٧٧.

(٤٨) خير الدين محمد: مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج ١، دون طبعة، مطبعة دحلب، الجزائر:١٩٨٥م، ص ٢٢٤.

(٤٩) مقلاتي عبد الله:إسهام شيوخ معهد عبد الحميد ابن باديس و طلابه في الثورة التحريرية، تقديم و تنسيق عبد العزيز فيلالي، منشورات مؤسسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، دون طبعة، دار الهدى،الجزائر:د ت، ص ٥٠.

(٥٠) الإبراهيمي:آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج ٢، مصدر سابق، ص ٢٤.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٥٢) جريدة المنتقد،العدد ٨، ٣٠ محرم ١٣٤٤ه/ ٢٠ أوت ١٩٢٥م.

(٥٣) للمزيد أنظر مطبقاني، المرجع السابق، ص ١١٢ و ما بعدها.

(٥٤) بورنان سعيد:نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا ١٩٣٦م-١٩٥٤م، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر غير منشورة، إشراف الدكتور مولود عويمر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، و الإنسانية جامعة الجزائر، السنة الجامعية ٢٠٠٨م/٢٠٠٩م، ص ٤٨، ٥١.

(٥٥) المرجع نفسه، ص ٥١، ٥٢، ٥٣.

(٥٦) المرجع نفسه، ص ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(٥٧) المرجع نفسه، ص ٥٨، ٥٩.

(٥٨) المرجع نفسه، ص ٥٩، ٦٠، ٦١.